سورة الفلق

مكية، وقيل: مدنية وآياتها خمس
[نزلت بعد الفيل]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

الفلق والفرق: الصبح، لأنّ الليل يفلق عنه ويفرق: فعل بمعنى مفعول. يقال في المثل: هو أبين من فلق الصبح، ومن فرق الصبح. ومنه قولهم: سطع الفرقان، إذا طلع الفجر. وقيل: هو كل ما يفلقه الله، كالأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحبّ عن النوى وغير ذلك. وقيل: هو واد في جهنم أوجبّ فيها من قولهم لما اطمأن من الأرض، الفلق، والجمع: فلقان. وعن بعض الصحابة أنه قدم الشام فرأى دور أهل الذمّة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم، فقال: لا أبالي، أليس من ورائهم الفلق؟ فقيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدّة حرّه ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ من شرّ خلقه. وشرّهم[1]: ما يفعله المكلفون[2] من الحيوان من المعاصي والمآثم، ومضارة بعضهم بعضًا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك، وما يفعله غير المكلفين منه من الأكل والنهس واللدغ والعضّ كالسباع والحشرات، وما وضعه الله في الموات من أنواع

---

(١) قوله: «من شر خلقه وشرهم» لعله وشره، أي: شر خلقه حيوانًا أو مواتًا. (ع)

(٢) قال محمود: «معناه من شر خلقه، أي من شر ما يفعله المكلفون... إلخ» قال أحمد: لا يسعه على قاعدته الفاسدة التي هي من جملة ما يدخل تحت هذه الاستعاذة إلا صرف الشر إلى ما يعتقده خالقًا لأفعاله، أو لما هو غير فاعل له ألبتة كالموات: وأما صرف الاستعاذة إلى ما يفعله الله تعالى بعباده من أنواع المحن والبلايا وغير ذلك، فلا؛ لأنه يعتقد أن الله لا يخلق أفعال الحيوانات، وإنما هم يخلقونها لأنها شر، والله تعالى لا يخلقه لقبحه: كل ذلك تفريع على قاعدة الصلاح والأصلح التي وضح فسادها، حتى حرف بعض القدرية الآية، فقرأ: من شر ما خلق بتنوين شر وجعل ما نافية.

الضرر كالإحراق في النار والقتل في السم. والغاسق: الليل إذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] ومنه: غسقت العين امتلأت دمعًا، وغسقت الجراحة: امتلأت دمًا. ووقوبه: دخول ظلامه في كل شيء، ويقال: وقبت الشمس إذا غابت. وفي الحديث: لما رأى الشمس قد وقبت قال: هذا حين حلها، يعني صلاة المغرب (١٨٣١). وقيل: هو القمر إذا امتلأ، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأشار إلى القمر فقال: «تعوّذي بالله من شرّ هذا، فإنه الغاسق إذا وقب» (١٨٣٢). ووقوبه: دخوله في الكسوف واسوداده. ويجوز أن يراد بالغاسق: الأسود من الحيات: ووقبه: ضربه ونقبه. والوقب: النقب. ومنه: وقبة الثريد؛ والتعوّذ من شرّ الليل؛ لأن انبثاثه فيه أكثر، والتحرّز منه أصعب. ومنه قولهم: الليل أخفى للويل. وقولهم: أغدر الليل؛ لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر وأسند الشرّ إليه لملابسته له من حدوثه فيه ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ النساء، أو النغوس، أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدًا في خيوط وينفثن عليها[1] ويرقين، والنفث النفخ مع ريق، ولا تأثير لذلك،[2] اللهم إلاّ إذا كان ثم إطعام شيء ضارّ، أو سقيه، أو إشمامه. أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه؛ ولكن الله عزّ وجلّ قد يفعل عند ذلك فعلاً على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحقّ من الحشوية

١٨٣١ ـ عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٣٣٥) لأبي عبيد القاسم بن سلام في كتابه غريب الحديث من طريق عبيد الله بن عقبة مرسلاً.
قال الحافظ: أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث من طريق عبيد الله مرسلاً انتهى.

١٨٣٢ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٢) كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة المعوذتين الحديث (٣٣٦٦) والنسائي في التفسير (٢/ ٦٢٣) رقم (٧٦٣) وأحمد (٦/ ٦١، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٣٧، ٢٥٢) والطيالسي رقم (١٤٨٦) وأبو يعلى رقم (٤٤٤٠) وعبد بن حميد رقم (١٥١٧ ـ منتخب). والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٠ ـ ٥٤١) وصححه ووافقه الذهبي.
وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/ ٤١٨) لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه كلهم عن عائشة وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٣٣٦) لابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه.
قال الحافظ: أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم وأحمد وإسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلى كلهم من طريق ابن أبي ذئب عن خالد الحرث بن عبد الرحمن، عن أبي سلمة عنها. انتهى.

---

(١) قال محمود: «هن السواحر اللائي يعقدن الخيوط وينفثن عليها... إلخ» قال أحمد: وقد تقدم أن قاعدة القدرية إنكار حقيقة السحر، على أن الكتاب والسنة قد وردا بوقوعه والأمر بالتعوذ منه. وقد سحر ﷺ في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر. والحديث مشهور؛ وإنما الزمخشري استفزه الهوى حتى أنكر ما عرف، وما به إلا أن يتبع اعتزاله ويغطي بكفه وجه الغزالة.

(٢) قوله: «ولا تأثير لذلك» مبني على مذهب المعتزلة من أنه لا حقيقة للسحر ولا تأثير له. وذهب أهل السنة إلى إثباته وإثبات تأثيره لظاهر الكتاب والسنة. (ع)

والجهلة من العوام، فينسبه الحشوية والرعاع[1] إليهنّ وإلى نفثهن، والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبئون به. فإن قلت: فما معنى الاستعاذة من شرّهن[2]؟ قلت: فيها ثلاثة أوجه، أحدها: أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن إثمهنّ في ذلك. والثاني: أن يستعاذ من فتنتهنّ الناس بسحرهنّ وما يخدعنهم به من باطلهن. والثالث: أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشرّ عند نفثهن، ويجوز أن يراد بهنّ النساء الكيادات، من قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] تشبيهًا لكيدهن بالسحر والنفث في العقد. أو اللاتي يفتنّ الرجال بتعرضهنّ لهم ومحاسنهنّ، كأنهنّ يسحرنهم بذلك ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ أي إذا ظهر حسده، وعمل بمقتضاه: من بغي الغوائل للمحسود، لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده، بل هو الضارّ لنفسه لاغتمامه بسرور غيره. وعن عمر بن عبد العزيز: لم أر ظالمًا أشبه بالمظلوم من حاسد. ويجوز أن يراد بشرّ الحاسد: إثمه وسماجة حاله في وقت حسده، وإظهاره أثره. فإن قلت: قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ تعميم في كل ما يستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد؟ قلت: قد خصّ شرّ هؤلاء من كلّ شرّ لخفاء أمره، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم، كأنما يغتال به. وقالوا: شر العداة المداجي الذي يكيدك من/ ٢/ ٢٧٦ب حيث لا تشعر. فإن قلت: فلم عرّف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه؟ قلت: عرفت النفاثات، لأن كل نفاثة شرّيرة، ونكر غاسق، لأنّ كل غاسق لا يكون فيه الشرّ، إنما يكون في بعض دون بعض، وكذلك كل حاسد لا يضرّ. ورب حسد محمود، وهو الحسد في الخيرات. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا حسد إلاّ في اثنتين» (١٨٣٣) وقال أبو تمام [من الطويل]:

١٨٣٣ ـ ورد ذلك من حديث ابن مسعود، وابن عمر، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري فأما حديث ابن مسعود رواه البخاري ١/ ١٩٩ في العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة (٧٣)، و ٣/ ٣٢٥ في الزكاة، باب إنفاق المال في حقه (١٤٠٩) و ١٣/ ١٢٨ في الأحكام، باب أجر من قضى بالحكمة (٧١٤١). وفي الاعتصام، باب ما جاء في اجتهاد القضاء بما أنزل الله تعالى (٧٣١٦). ومسلم ١/ ٥٥٩ في صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن (٨١٦/٢٦٨). وابن ماجه ٢/ ١٤٠٧ في الزهد، باب الحسد (٤٢٠٨). وأحمد ١/ ٣٨٥، ٤٣٢، والحميدي في ١/ ٥٥ برقم (٩٩)، وأبو يعلى (٥٠٧٨)، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٣٦٣ والبغوي في شرح السنة ١/ ٢٣٦ برقم (١٣٨) من =

---

(١) قوله: «فينسب الحشوية والرعاع» في الصحاح «الرعاع»: الأحداث الطغام. وفيه «الطغام»: أوغاد الناس وفيه «الوغد»: الرجل الدنيء الذي يخدم بطعام بطنه. (ع)

(٢) قال محمود: «فإن قلت: ما معنى الاستعاذة من شرهن، وأجاب... إلخ» قال أحمد: وهذا من الطراز الأول قعد عنه جانبًا، ولو فسر غيره النفاثات في العقد بالمتخبلات من النساء ولسن ساحرات حتى يتمم إنكار وجود السحر: لعده من يدع التفاسير.

. . . . . وَمَا حَاسِدِي فِي الْمَكْرُمَاتِ بِحَاسِدِ[1]

وقال [من البسيط]:

. . . . . إِنَّ الْعُلاَ حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا الْحَسَدُ[2]

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ المعوّذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها» (١٨٣٤).

= طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه مرفوعًا «لا حسد إلاّ في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

وأما حديث ابن عمر فرواه البخاري ٨/ ٦٩١ في فضائل القرآن: باب اغتباط صاحب القرآن (٥٠٤٥) و ١٣/ ٥١١ في التوحيد: باب قول النبي ﷺ «رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار» (٧٥٢٩) ومسلم في المصدر السابق، (٢٦٦) والترمذي ٤/ ٢٩١ في البر والصلة، باب ما جاء في الحسد (١٩٣٦) من طريق الزهري، عن سالم عنه مرفوعًا «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفق آناء الليل وآناء النهار».

وأما حديث أبي هريرة فرواه البخاري ٨/ ٦٩١ في فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن (٥٠٢٦)، و ١٣/ ٢٣٣ في التمني في باب تمني القرآن والعلم (٧٢٣٢) وفي التوحيد، باب قول النبي ﷺ: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار» (٧٥٢٨)، وأحمد ٢/ ٤٧٩ من طريقين فيه مرفوعًا «لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار» فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان. فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق: فقال رجل: «ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل».

وأما حديث أبي سعيد فرواه أحمد ٢/ ٤٧٩، وأبو يعلى (١٠٨٥) عن الأعمش عن أبي صالح عنه مرفوعًا بمثل حديث أبي هريرة.

وذكره الهيثمي في المجمع ٣/ ١١١ وقال رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

قال الحافظ: متفق عليه من حديث ابن مسعود، ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما، والبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. انتهى.

١٨٣٤ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب، وقد مضى غير مرة أنها واهنة، وأن الحديث المرفوع في ذلك موضوع والله أعلم. انتهى.

---

(١) وإني لمحسود وأعذر حاسدي ... وما حاسدي في المكرمات بحاسد

لأبي تمام. يقول: إني جامع للخصال الحميدة، فالحسد كناية عن ذلك. وعذر يعذر كضرب يضرب، أي: أن حاسدي معذور لحسن صفاتي وعظمها، وليس الحاسد في الخصال الحميدة بحاسد مذموم، بل مغتبط ممدوح.

(٢) فافخر فما من سماء للعلا ارتفعت ... إلا وأفعالك الحسنى لها عمد

واعذر حسودك فيما قد خصصت به ... إن العلا حسن في مثلها الحسد

لأبي تمام. وشبه القدر المرتفع بالسماء، واستعارها له على طريق التصريح، والارتفاع ترشيح، لأنه خاص بالمحسوسات وشبه الأفعال الجميلة بأعمدة السماء تشبيهًا بليغًا، لأن بها الارتفاع المعنوي.